

المحاضرة الثالثة: علاقة الابستمولوجيا بالمباحث المعرفية:

أولاً: الابستمولوجيا ونظرية المعرفة:

تمهيد:

تعرف المعرفة على العموم بأنها ذلك الفعل الذي تستطيع بواسطته الذات أن تسيطر عقليا على موضوع معين بهدف اكتشاف خصائصه المميزة ويختلف الفلاسفة والعلماء بعد ذلك في تصورهم لفعل المعرفة، ففي الوقت الذي يؤكد فيه العلماء بأن الأصل في المعرفة هو البناء العقلي للموضوع، ذلك البناء الذي يزداد دقة وتحديدا بفضل تطور المناهج والمفاهيم العلمية عبر تاريخ العلم نفسه، نجد أن هم الفلاسفة ينصرف إلى مسائل عامة تتعلق بالمعرفة مثل إمكان قيامها أصلا، طبيعتها، حدودها، وسائلها... الخ.

السؤال المطروح هنا: هل هناك علاقة بين الابستمولوجيا و نظرية المعرفة؟ أم أنه لا توجد بينهما أية علاقة على الإطلاق؟

جاءت الإجابة على هذا السؤال كالتالي:

أ- الإجابة الأولى قدمها الفلاسفة الناطقون باللغة الانجليزية فقد ساوى هؤلاء في الاستخدام لفظ "ابستمولوجيا" و "نظرية المعرفة" ولم يقيموا أي تفرقة بين الميدانين حيث نجد في دائرة المعرفة الفلسفية الصادر عام 1967 هذا التعريف " الابستمولوجيا أو نظرية المعرفة هي ذلك الفرع من فروع الفلسفة الذي ينصرف إلى دراسة طبيعة المعرفة وحدودها ويهتم بتحديد الأسس والفروض التي يستند إليها، ويهدف إلى إبراز القيمة التي يمكننا أن نصبغها عليها" كذلك نجد في دائرة المعارف البريطانية 1961 تأخذ الابستمولوجيا بمعنى نظرية المعرفة، ويمكننا أن نعد عالم النفس وصاحب نظرية الابستمولوجيا التكوينية جان بياجيه ضمن هذا الفريق الذي اعتبر مصطلح ابستمولوجيا مرادفا في الاستعمال لنظرية المعرفة، ولأنه يرى أن العلم سواء نظر إليه من خلال دوره في تقدم المجتمعات، وكذلك من خلال دوره في بناء الفرد و تطويره، فإنه يكتمل بشكل دائم ومستمر بدون أن يصل إلى حد الكمال ولهذا فإن أية نظرية في الابستمولوجيا التكوينية لا بد أن تتحول في نهاية الأمر إلى نظرية في المعرفة والدليل على ذلك أن أية نظرية في الابستمولوجيا التكوينية تهدف إلى استعراض جميع المراحل التي توصلنا من خلالها إلى ما نعتبره اليوم معرفة علمية، بمعنى أنها تنظر إلى المعرفة من خلال أشكالها السابقة على الشكل العلمي.

ب/ هناك من يفرق بين نظرية المعرفة والابستمولوجيا ولا توجد علاقة بينهما وهذا الرأي نجده عند الوضعيون المناطقة وهم الذين تحولت عندهم المعرفة إلى المعرفة العلمية فقط

فكارنا على سبيل المثال لا يعترف بأية نظرية في المعرفة لا تكون تحليلًا منطقيًا لقضايا العلم، كذلك نجد في الفلسفة الفرنسية يتم التفرقة بينهما ففي دائرة المعارف العالمية الفرنسية تتم التفرقة بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة.

ثانياً: الابستمولوجيا وفلسفة العلوم:

حينما ننتقل إلى تحديد العلاقة بين هذين المبحثين المعرفيين يمكننا أن نوجز آراء المفكرين في هذا الصدد في رأيين أساسيين:

أ/ الرأي القائل بأن الابستمولوجيا ما هي إلا فصل من فصول فلسفة العلوم أو طريقة خاصة من طرق الفلسفة في العلم.

من خلال التعريف الذي قدمناه سابقاً للابستمولوجيا (تعريف لالاند) يفهم البعض أن الابستمولوجيا هي التحليل المنطقي لقضايا العلم ولهذا فهي جزء من فلسفة العلوم أو طريقة خاصة من طرق معالجتها وهذا الرأي ذهب إليه فايغل وبروديك وهما يميزان بين أربعة طرق مختلفة للفلسفة في العلم:

1- دراسة العلم في علاقته مع العالم و المجتمع (سوسيولوجيا العلم)

2- وضع العلم في مكانه من مجموعة القيم الإنسانية، لأن العلم نشاط إنساني (البيو اتيفا)

3- الدراسة التأملية التي تستمد من نتائج العلم.

4- التحليل المنطقي للغة العلم.

ب/ الرأي القائل بعدم وجود أية علاقة بين الابستمولوجيا وفلسفة العلوم وهدفهم من هذا الرأي هو كي لا تختلط الابستمولوجيا بالمشكلات الفلسفية، ولأنه لو صح القول أن هناك علاقة بينهما لصح بالتالي القول بأن كل الفلاسفة هم باحثون في الابستمولوجيا، ويوضح لنا بياجيه أسباب هذا الرافض بقوله أن الابستمولوجيا تهتم مثلها في ذلك مثل المنطق بتحليل المعارف ذات الطابع العلمي، تلك المعارف التي تحتوي بحكم طبيعتها على مشكلات منطقية ونفسية ومنهجية لا علاقة لها اليوم بالفلسفة العامة ويؤكد بأنها ستقطع الصلة تماماً في المستقبل بالتفكير التأملي الفردي وستتبع ميدان البحوث التكاملية.

كخلاصة نقول ما قاله روبير بلانشي إذا ما فرقنا بين الابستمولوجيا وفلسفة فيجب أن نؤكد بأن هذا الفارق هو في درجة الاتساع فقط فليست الابستمولوجيا إلا جزءاً من فلسفة العلوم، أنها ذلك الجزء الأكثر قرباً بدون شك من العلم إلا أنها بروحها ومناهجها تمتد على مساحة متوسطة بين العلم والفلسفة وتنتهي حدودها عند العلم والفلسفة

